مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

التأثر والتأثير بين الحضارات:
مناقشة تهوين دور الإسلام وحضارته في الفكر الإنساني(*)

د/ حسن محمد حسن الأسمري
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية
hmalbakri@kku.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 22/7/2023 تاريخ قبوله للنشر 4/6/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

التأثر والتأثير بين الحضارات:
مناقشة تهوين دور الإسلام وحضارته في الفكر الإنساني

د/ حسن محمد حسن الأسمري
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية

ملخص

التأثر والتأثير بين الحضارات موضوع معقد، فلا يشكك أحد في وجوده كعلاقة بين الحضارات، ولكن ظهرت دعوى في الآيدلوجيات الغربية المعاصرة تقول بتفوق الحضارة الغربية في الماضي والحاضر، وأن الحضارة الإسلامية هي نسخة منقولة عن الحضارة الغربية، وقد كان لعنصرين في هذه الآيدلوجيات دورهما: المركزية الغربية والرؤية العلمانية، وتبعا لذلك جاء الهجوم على الإسلام وحضارته، وتهميش دوره في الماضي والحاضر والمستقبل، وهذه محاولة لمناقشة هذه الدعوى، فجاءت في أربعة مباحث: نشوء الحضارات ومبدأ التأثر والتأثير، المركزية الغربية والرؤية العلمانية في الحضارة الغربية، الحضارة الإسلامية وأثرها في الحضارة الغربية، مستقبل التأثر والتأثير؛ وقد استعنت منهجيا ببعض الأدوات من المنهج التاريخي والتحليلي والنقدي، ومن أهم النتائج: التأثر والتأثير عملية أساسية في العلاقة بين الحضارات، ولكل حضارة أدواتها المنهجية في ترتيب هذه العملية، وهناك تأثر بالمركزية الغربية والرؤية العلمانية في تهوين دور الإسلام وحضارته، كونها حضارة مُحمّلة بالقيم الدينية وغير غربية، أن الحضارة الإسلامية تُعدّ من أقوى الحضارات في تهيئة العالم للمرحلة الحديثة، كما أن الإسلام هو الذي يملك القيم الضامنة لسلامة مستقبل الحضارات الإنسانية.

كلمات مفتاحية: الحضارة، الحضارة الإسلامية، المركزية الغربية، العلمانية، التأثر والتأثير.

Influence and influence between civilizations: Discussing the underestimation of the role of Islam and its civilization in human thought

Dr. Hassan Mohamed Hassan Al-Asmari
Professor of Faith and Contemporary Doctrines – Faculty of Sharia and Fundamentals of Religion King Khalid University - Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

Influence and influence between civilizations is a complex subject, so no one doubts its existence as a relationship between civilizations, but a claim appeared in contemporary Western ideologies that claim the superiority of Western civilization in the past and the present, and that Islamic civilization is a copied copy of Western civilization, and two elements in these ideologies had their role: Western centralism and the secular vision, and accordingly came the attack on Islam and its civilization, and the marginalization of its role in the past, present and future, This is an attempt to discuss this case, and it came in four topics: the emergence of civilizations and the principle of influence and influence, Western centralism and the secular vision in Western civilization, Islamic civilization and its impact on Western civilization, and the future of influence and influence. I used methodologically some tools from the historical, analytical and critical method, and the most important results are: Influence and influence are a basic process in the relationship between civilizations, and each civilization has its methodological tools in arranging this process, and there is an influence on Western centralism and the secular vision in underestimating the role of Islam and its civilization, as it is a civilization laden with religious and non-Western values, that Islamic civilization is one of the strongest civilizations in preparing the world for the modern stage, just as Islam is the one that possesses the values that guarantee the safety of the future of human civilizations.

Keywords: civilization, Islamic civilization, Western centralism, secularism, vulnerability and influence.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد اشتهرت دعاوى حديثة ضد الإسلام، وعندما توسع الحديث عن مفهوم الحضارة والحديث عن الحضارات، أصبح فنّاً تُطرح نظريات ومناهجه، وتظهر مؤلفاته ورواده، وجاءت مسائل ضمن هذا الفن الكبير، منها ما هو موضوعي وعنصر مثمر في بناء الفن، ومنها ما هو آيدلوجي، يقوم على حرف مساره من علم وفن إلى أداة صراع معبأة بالمغالطات والأهواء، وفي هذا الجانب، جاءت موضوعات مُلِئت بدعاوى كان منها: أنه لا يوجد حضارة إسلامية حقيقية، وأن الغرب بخاصة هم من قدموا النماذج الحضارية الملهمة والنموذجية، وغيرهم تابع لهم، وليس لهم سوى البقاء مستهلكين لحضارة الغرب، وقد يتفضلون على بعض أمم الشرق كالصين والهند ببعض المزايا القليلة، وبخاصة أنهم هم من يحدد مفهوم الحضارة ونموذجها المثالي، ثم يُقيّمون باقي الأمم وفق هذا النموذج، ويغلب عليه أنه نموذج مادي مفصول عن القيم الروحية، وقد ضرب أحد رواد هذا الفن مثلا جيدا لضباب التصور(١)، فإن البشرية جلست سنوات عديدة حتى نجحت في ابتكار صناعة رغيف الخبز، والذي أصبح طعام ملايين البشر، فكان نفعه عظيما للبشرية، فهو بحق مثال حضاري يستحق أن يوضع في أعلى القائمة، بينما اليوم تنفق مليارات الدولارات من أجل إيصال رائد فضاء للقمر، وليس فيه سوى إبهار العالم، وإثبات التفوق الغربي، بينما منفعته محدودة، ومن ثم، فما المضمون الحقيقي لمسمى الحضارة، حتى لا تقاد العقول لتصور ضيق، هل يقاس انتفاع البشرية باكتشاف رغيف الخبز بوصول رائد فضاء للقمر!، هذا المثال نموذج من عشرات الأمثلة التي تبين كيف يقاد الصراع الفكر والثقافي اليوم.

وترتفع هذه الدعوى في أوقات، وتكون حاضرة مع مجموعات، فمع ظاهرة الاستعمار المتوحشة، رفعت هذه الدعوى إلى أقصى ما يمكن، وتم توظيف مجموعة مهمة من كبار المستشرقين في هذه المهمة المهينة لحركة الاستشراق، بالطبع لم يكن كل المستشرقين بهذه الحال، فقد كان منهم المعتدل والمنصف والباحث عن المعرفة، ولكن هؤلاء ليس هم من يتقدم في خدمة جيوش الاستعمار، ثم إنه قد خفّت وطأتها مع انشغال الغرب بذاته أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية وما بعدها، واكتشف الغرب آنذاك أنه مُشبّع بأمراض فكرية وقيمية قاتلة، تقاتلوا بسببها سنوات، وذهب ضحيتها الملايين منهم، فضلا عن مسح مدن بأكملها، فاكتشف العديد منهم أنهم في قمة حضارتهم فتكوا ببعضهم بموازين هذه الحضارة ذاتها، فقد ادعى قوم منهم أنهم أفضل البشر، ضمن دعاوى القومية كالنازية، ولكن في العقود الأخيرة، وبعد سقوط الماركسية المدوي، ظهرت دعاوى جديدة، في أتون ما يسمى: (صراع الحضارات)، وقد وجدت طائفة منهم ضالتها في هذا المفهوم، فبدأت تُفصّل مقاسات للأمم والجماعات، الطيبة منها والشريرة، ووضع بعضهم الإسلام وأهله في القسم المذموم، وأنه يُمثّل الحضارة التابعة المشوهة، التي تنغص تقدم العالم، ثم توسع القوم في طرح تاريخ مزيف ومشوه لحضارة الإسلام، وتنقيص دوره في

(١) الحضارة..، د. حسين مؤنس، ص٩.

العالم، وتهوين مقدرته في الإسهام بشيء في المستقبل، وهذه الدورة الجديدة تستعمل المفاهيم والموضوعات الحضارية في تهوين شأن الإسلام وحضارته.

يقدم أصحاب دائرة الأفكار حججاً ذات بعد فلسفي ومصلحي للدفاع عن الصراع، وهو ما عبر عنه المفكر السياسي المشهور "فرانسيس فوكوياما" في كتابه المشهور: "نهاية التاريخ وخاتم البشر"، فهو صراع حتمي لإعلان نهاية التاريخ متمثلا في صورة واحدة تلغي بقية الصور، فالنموذج الغربي هو النموذج الأكمل والنهائي.

وبصراحة أعلى نجد ذلك عند "صامويل هنتجتون" في كتابه المشهور: "صدام الحضارات"، يتحدث فيه عن ديانات مليارية ذات مراكز دينية وسياسية: النصرانية في الغرب، الهندوسية في الهند، الكونفشيوسية في الصين، الإسلام(١)، وهو يرى بعد تحليل سريع إمكانية الاتفاق بين عدد من الحضارات مثل النصرانية والهندوسية والكونفشيوسية، وصعوبة الاتفاق مع الحضارة الإسلامية، وهو يؤكد أن (المشكلة في الغرب ليست الأصولية الإسلامية، المشكلة الإسلام...)(٢)، ومن ثم فهو يضع ملحمة حديثة يتفق فيها العالم ضد الإسلام (فبينما على مستوى السياسة العالمية الصدام الرئيسي بين الحضارات هو بين الغرب وباقي العالم، وعلى المستوى المحلي الصدام بين الإسلام والآخرين)(٣)، فهذا التنظير الجديد قدم مادة خصبة من جديد للمركزية الغربية، ووضع الإسلام بخاصة في قفص الاتهام.

ومن هذه الأبعاد تولدت **إشكالية** هذه الدراسة، تبحث في دعوى انتقاص الدور الحضاري للمسلمين، ومحاولة التعمق قليلا في مفهوم (التأثر والتأثير) بين الحضارات، وأين دور المسلمين من هذه المعادلة، وما الخلفيات الفكرية التي تؤجج هذه الدعاوى، وكيف يمكن للمثقف المسلم اليوم أن يعيد طرح مثل هذا الموضوع، وفق قيمه الإسلامية التي تقوم على العدل الحق.

توصلنا الخلفية السابقة إلى **إشكالية** هذه الورقة، وغايتها:

- مناقشة دعوى البراعة الغربية، وكأنها انبثقت من دون سوابق، أو كأنها فريدة أمرها.
- مناقشة دعوى التمركز الغربي، من خلال أحد أهم الشواهد، فلو وقع الاكتفاء بادعاء البراعة لهان الأمر، ولكن اتخذت الدعوى ارضية لتوسيع الاعتداء على الأمم الأخرى والانتقاص لها، وهي متصاحبة مع آيدلوجيا العلمانية.
- وزن بوصلة الإسهام العلمي والفكري بين الحضارات، وبخاصة ما قدمته الحضارة الإسلامية للعالم.

أهمية الدراسة:

- الإسهام بوضع مشاركة في مجال النقد الحضاري، وبخاصة للمقولات التي تشوه دور الحضارة الإسلامية.
- سعة الطرح الإعلامي والثقافي الذي يشوه دور الحضارة الإسلامية، كان من خلفياته تأثر بعض المسلمين بمثل هذا الادعاء، وحاجة العديد منهم لمن يقدم إجابة لبعض مشاكل هذا الطرح.
- الإسهام في بناء الثقة في الذات الإسلامية، من خلال شواهد وحجج متنوعة.

---

(١) صامويل هنتنجتون، ص١٠٩ وما بعدها.

(٢) نفس المرجع، ص٣٨٣.

(٣) نفس المرجع، ص٤٣٨.

الأهداف:

١ – تحديد العلاقة بين الحضارات من خلال مفهوم (التأثر والتأثير).

٢ – بيان أثر "المركزية الغربية" و"العلمانية" في تشويش مبدأ العلاقة بين الحضارات.

٣ – عرض عناصر جوهرية تبين دور الحضارة الإسلامية بشهادة الخصوم.

٤ – عرض تصور لمستقبل التأثر والتأثير، والحاجة للإسلام.

الدراسات السابقة:

هذا باب واسع، التأليف في الحضارات والعلاقات بينها، هو الأرضية الواسعة لهذا الموضوع، وهي مؤلفات ثقافية تناقش الموضوع من مناظير متنوعة، هذه الدراسة تحاول الاختلاف عنها في بابين: **الأول**، الانتماء لحقل جديد، وهو حقل نقد التمركز الغربي، وتوظيف الاستدلال من أجل المهمة، وذلك أنه المفهوم الذي أعقب الاستعمار الصريح القبيح، فجاءت دعوى الاستثنائية الفكرية الغربية، الفكر الغربي والحضارة الغربية هي المركز، وباقي الحضارات هي أطراف شوهاء عرجاء تحاول اللحاق بالحضارة الغربية، وليس لها ذاك؛ **والثاني**، وهو المحاججة عن دور الإسلام ذاته في هذا الباب، وهو الدين الذي يسعون بشكل أقوى لإخفاء دوره، وطي أثره، وهو معنى يختفي حتى مع العديد من المتحمسين للحضارة الإسلامية، غير منتبهين لبعد الإسلام، يكتفون بالجانب المادي والعلم الإنساني وحده، دون الدين، وبعضه يفهم موقفه بسبب تخصصه الدقيق في هذه العلوم، فيتحدث بما يعلم، ويسكت عن مالا يعلم، ولكن كثرة المؤلفات التي تتجاهل الإسلام، وهو دين حاضر، ويختلف عن كل الأديان، هو الأمر الآخر الذي نحاول تنبيه أهل المجال على دوره.

المنهج:

هناك أدوات متنوعة تم استعمالها في إنجاز هذه الدراسة، وأهمها:

- القراءة التاريخية، من أجل جمع وفحص شواهد العلاقة بين الحضارات، وصور التأثر والتأثير.
- التحليل للمفاهيم، والعلاقات، والموضوعات الجوهرية في الدراسة
- النقد لمواطن الإشكالات سواء في الثقافة الإسلامية أو في الطرح الغربي.

وحتى نحقق ملامسة هذا التفاعل بين الحضارات الثلاث في شكلها العام، ومنها الحديث ممثلا فيما أطلق عليه (الفكر الحديث)، فستأتي مباحث الدراسة في مقدمة، وأربعة مباحث، وقد لا تتساوى في الحجم، ولكنها تقدم أقساما مستقلة تتكامل في تحقيق هدف الدراسة، مع خاتمة وفهرس للمراجع، وفق التالي:

المبحث الأول: نشوء الحضارات، ومبدأ التأثر والتأثير.

المبحث الثاني: المركزية الغربية والرؤية العلمنة.

المبحث الثالث: الحضارة الإسلامية، وأثرها في الفكر الحديث.

المبحث الرابع: مستقبل التأثر والتأثير، والحاجة للإسلام

متمنيا أن تسهم هذه الدراسة في تحقيق أهدافها، وتقديم مادة مفيدة للمطلع عليها، والله الموفق.

المبحث الأول: نشوء الحضارات، ومبدأ التأثر والتأثير

ثلاث حضارات تواصل التدافع، **حضارة الشرق**: الهند والصين واليابان وما حولها، ومع تنوعها فهناك قواسم مشتركة في أديانها ومعارفها؛ **وحضارة الغرب**: اليونان والرومان ثم أوربا الحديثة ونشؤ مفهوم (الغرب) يعود لقطبين كبيرين: الفلسفة اليونانية والنصرانية؛ وبين هاتين الحضارتين ظهر **الإسلام**، والذي أنشأ حضارته المدهشة؛ أما الحضارات الأخرى، ومع عظمة الكثير منها، على شاكلة البابلية والفرعونية وغيرهما، فقد اختفت وبقيت آثارها فقط.

لقد أشار (لوبون) في كتابه: (حضارات الهند) بأنها وإن كانت حضارة شرقية ملفتة للنظر، فهي تبقى تابعة لغيرها(١)، وباحث أخر يبدي ضعف العلم الصيني عن إنجاب العلم الحديث(٢)، ونحن نشاهد مثلا ظاهرة اليابان الحديثة، كيف انهارت سريعا أثناء الحرب العالمية الثانية، وتقمصت الثقافة الغربية، نعم الصين تصعد اليوم بقوة، ولكن الفكر الذي صعدت على اكتافه، وهو الماركسية، يُعد منتجا في الحضارة الغربية؛ بقي معنا حضارتان، حضارة ضعيفة ماديا في نسختها المعاصرة وتشق طريقها نحو الصعود، وهي الحضارة الإسلامية، ولكن معها أعظم دين، دين الحق، الدين الخاتم والكامل، فمعها مادة قوتها؛ وحضارة الغرب، والتي تمثل في وجهها المادي أقوى حضارة شهدها العالم الحديث، وتظهر وكأنها دون منازع أو منافس، مع أن التحولات الداخلية فيها تعطينا مؤشرا على احتمالات مبهمة عن مستقبلها، فقد كان البدأ مع إمبراطوريات البرتغال وأسبانيا، ثم تلاشت، واستلمت فرنسا وبريطانيا الراية، فظهرت ألمانيا وضربت بعنف تلك الإمبراطورتين، وظهر المنقذ من أمريكا، لتصبح أوربا بكاملها تابعة في الغالب لأمريكا، فهي حضارة متقلبة المزاج(٣)، ولكنها ما زالت هي النموذج الأول ماديا، وقد أنهكت العلمانية ديانتها العامة، تاركة المجال العام للفكر والفلسفة والعلوم في أجواء علمانية.

وبما أن الحضارة الغربية هي الأقوى ماديا، فهي تُنّوع أساليبها في التعامل مع الغير، مرات بالقوة المادية، وأعظمها شرا من خلال الاستعمار، وتارة عبر صناعة التبعية، من خلال تشييد مقولة المركز والأطراف، وهو البديل السلمي بعد خسائر واسعة وقعت من جراء حركات التحرير في البلاد المستعمَرة؛ وإذا كان الاستعمار فشل في إقناع البلاد المستعمَرة بالطاعة والتبعية، بل أيقظ شرارة المقاومة وأشعل حركات التحرر، فإن حركة بناء التبعية وتغريب المجتمعات هو البديل الأخطر ثقافيا، فهو عنصر سلمي، ويتسرب دون تحفيز المقاومة؛ وأخطر أشكاله تأتي في عمليات طي مميزات الأمم والحضارات الأخرى، وتصويرها وكأنها طفولة فكرية وثقافية عابرة، هذا في الوجه الإنساني للحضارة، ولكن ذلك الانتقاص قد امتدَّ للإسلام ذاته، ليوضع دينيا في الطرف الأسوأ من الأديان، فضلا عن بناء صورة قاتمة له، فهو دين غير قادر على صناعة حضارة، ويُزعَم بأنه صانع للإرهاب والتطرف

(١) حضارات الهند، لوبون، ص٤٣١.

(٢) توبي أ. هف، ص٥١.

(٣) ويمكن مطالعة كتاب اشبلنجر في هذا السياق، تدهور الحضارة الغربية، سقوط الحضارة كولن ويلسون.

والتخلف والعنف؛ وقامت أنشطة غريبة في أبحاث التاريخ والحضارة لتوسيع شواهد الانتقاص والتشويه للإسلام والحضارة الإسلامية، وهي خطيرة عندما تخرج باسم البحث العلمي، وتأتي منتجاتها كأدلة على هذه الدعوى.

وهناك صدى لهذه المقولة عند بعض المثقفين العرب، حيث نجد العديد من المقالات والمحاضرات على الشبكة تؤكد هذا المزعم الاستشراقي في أن المسلمين لا حضارة لهم، وهم صناع التخلف، ويخلطون عناصر صحيحة بأخرى غير صحيحة، أو تعرض بطريقة غير منهجية، فيشاركون تلك الدعاوى الاستشراقية بأن العرب في تخلف، ولم يقدموا للعالم سوى التخلف، وأن دعوى استفادة الغرب من الحضارة الإسلامية دعوى زائفة، وفي عصرهم الحديث: لم يعرف العرب إلا من خلال البترول والعنف، وهذا نموذج مغالطي دون وعي أو منهج علمي في الطرح، وإذا كان هذا يأتي من مثقفين عرب فكيف الحال مع غيرهم.

يقابل ذلك نموذجا آخر في قراءة التاريخ الحضاري قراءة واعية فاحصة منهجية، مع أسماء عديدة، منها على سبيل المثال نشاطات (رشدي راشد) في إظهار علم الرياضيات العربي ودوره في العلم الحديث، وليس عبر مقولة عابرة، أو محاضرة إنشائية، بل عبر جهد للعديد من الباحثين، عبر سنوات طويلة من الجهد، يخرج في عدة مجلدات، يُظهر الفرق بين دعاوى إنشائية غير مستندة لأي فحص منهجي أو علمي، وبين أخرى قامت على طلب الحقيقة والإخلاص لها، وهو أيضا حال الباحثين العقلاء المنصفين في الغرب مثل "هف" الذي يقول في مبحث: (العلم العربي والعالم الإسلامي)، (أما هنا فينصب اهتمامنا على أن العلم العربي من القرن الثامن حتى آخر القرن الرابع عشر ربما كان أرقى علم في العالم، متفوقا في ذلك على العلم في الغرب والصين...)[1]، وهذا لا يعين التقليل من حضارة في وجهها المادي هنا أو هناك، فكل حضارة تملك مقومات الإبداع الذاتية من جهة والمستفادة من الآخرين من جهة أخرى، وفي أوقات زمانية تكون حضارة هي الأظهر والأشهر وباقي الأمم تكون متأثرة بها وتابعة لها في وجهها المادي، أما الأمة التي تملك الدين الكامل والمعياري والحاكم والفصل فهي أمة الإسلام، فسواء كانت قوية في قسمها المادي أو ضعيفة، فإن الدين الذي تحمله في كل زمان، هو الدين الحق والأعلى والأكمل إلى قيام الساعة، قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ) [آل عمران: ١١٠]، فهذه الآية تربط بين الخيرية والفاعلية والإيمان، فالفاعلية بدورهم في إصلاح العالم من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وارتباط ذلك بأعظم عقيدة يحملها المسلم وهو الإيمان بالله.

أطر عامة في علاقة التأثر والتأثير بين الحضارات:

[١] الحضارات المغلقة والحضارات المفتوحة: الحضارات نوعان: نوع **مغلق**، ونوع **مفتوح**، **المغلق** أناني، يهتم بعرق أو أمة، أو غير قادر في إقناع الآخرين، أو عنصري شديد العنصرية، أو دعوى التميز الديني، وقد جاء في الوحي بعض هذه الدعاوى كما في هذه الآية: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ

(١) فجر العلم الحديث، ص٦٧.

يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ} [المائدة: ١٨]؛ نوع **مفتوح**، يوزع أنواره للغير، وإن كان على الضلالة، فهو يؤثر في الغير بما يملك من مقومات الانفتاح، فطبيعة المفتوح امتلاكه لعناصر الانتشار، مثل الحوار والتسامح وعدم الإكراه الديني، العدل مع الجميع، تواصلي، جدلي ومناظر ومناقش.

[٢] التأثر والتأثير أصل فطري وطبيعي: التأثر **والتأثير** هو الأصل، هو **فطري وطبيعي**، وأي دعوى خلاف ذلك فهي دعوى زائفة، البشر مكونون من طباع تقبل التعالق والتأثر والتأثير، هو عنصر جوهري في حياة المجتمعات والحضارات، والأمة التي تنغلق وتزعم تمنّعها عن التأثر أمة غير فطرية، تخالف الوضع الإنساني السليم، وإنما التميز هو في التعامل المنهجي مع (التأثر والتأثير)، فما الذي يترك لطبيعة المجتمع وتطوره، وما الذي ينبغي الانتباه له، فترك الباب دون منهجية هو التسيب الحضاري.

(**التأثر والتأثير**) كما هو عنصر فطري وطبيعي، فله **أمراضه ومشكلاته**، والناس أمامها ثلاثة أصناف: صنف خائف سلبي ضعيف، يغلب عليه اتخاذ المنع التام والانغلاق، بحجة عدم الغرق في التأثر؛ والثاني منفتح بلا ضوابط، ومستهلك للثقافات دون قيود، يأخذ خيرها وشرها بحجة أن شرط التقدم هو السير على نفس خطى الأمم المتقدمة بكل ما فيها؛ وصنف ثالث عاقل واعي بحركية التأثر والتأثير، فيدير معركته الحضارية بوعي، يبني قواعده ويفتح نوافذه، يُعمّق أصوله وهويته وجذوره داخل بيته وأرضه وتاريخه، ويمد أغصانه وأطرافه وأنواره في كل مكان؛ وهم بناة الحضارة.

[٣] التفريق بين نوعين من النظر: نظر داخل أمة، ونظر عالمي لكل الأمم؛ فهذا له موازينه، وذاك له موازينه؛ فمن الطبيعي وضع الأسوار أمام التأثر الديني، ومن ثَمَّ فإذا جاء النظر داخل أمة، فسنجد نشاطا دينيا في مواجهة الابتداع في الدين، ووضعه تحت النقد الشديد؛ ومن المفهوم التسامح مع العلوم الإنسانية التي تتشاركها العقول مع اختلاف أديانهم وقيمهم، كالطب والرياضيات وما شابه ذلك؛ ولكننا نقيم دعوى خاصة، وهي أن الإسلام يختلف عن بقية الأديان بأنه دين أهل الأرض، فليس لأهل الأرض قاطبة سوى الإسلام، هو قدر العالم إلى قيام الساعة، وهذا منصوص عليه في الوحي، ولكن الدعوى الخاصة هي أنه يملك مقومات تجعله أقدر على الانتشار في كل مكان، وإجابة كل الأسئلة التي لا يجيب عليها سوى الدين، ومعنى ذلك أنه يملك عناصر تجعله الدين القادر على اختراق كل الأسوار، واقتحام كل الأرواح الباحثة عن الحق، ومن ثم فتأثير الإسلام وتأثير أهله في غيرهم، يأتي متناغما مع هذا المعنى؛ فإذا كان المسلمون يتفاعلون مع الحضارات الأخرى في مجالات إبداع تلك الحضارات دون حرج، بل هو واجب إسلامي ضمن معنى التعاون الإنساني فيما ينفع الإنسان، فإنهم في الجانب الديني مكتفون ومحصنون تماما أمام أي تأثر، لأن دينهم هو الأكمل، والأكمل ليس فيه إي فراغ ليملأه من هنا أو هناك، بخلاف الأمم الأخر، فلديها فراغ عظيم، ومخيف، ونكِد، لا يمكن ملأه إلا بالإسلام.

[٤] الموقف من الحضارة الحديثة: ما زال الموقف من الحضارة الغربية والعلاقة معها موطن إشكالية في الثقافة الإسلامية، فإنه وكما سبق بأن وقوع التفاعل بين الحضارات هو موقف طبيعي وإنساني، وهناك مساحة

جاءت الشريعة بوضع قيم عامة توجهها، ومنها العلاقة بين الأمم والشعوب والحضارات، وهي قيم قائمة على التعارف والتفاهم والتعاون في أبواب يقوم بها الشأن الإنساني العام، مهما اختلفت لغاتهم وأديانهم، وفي الفقه الإسلامي جاء الحديث عنها في مجال العلاقات الدولية في حالة السلم، وهذه قوافل المسلمين في الماضي تجوب الأرض، وكذا العلوم الإنسانية تنتقل من مكان لآخر مع أصحابها أو من خلال نقل كتبهم وترجمتها أو من خلال من يذهب إليهم ويتعلمها، وهذه المساحة المشتركة أو الفضاء العام المشترك بين الحضارات هو موطن تفاعل وتأثر وتأثير إنساني طبيعي.

ولكن اليوم، قامت حضارة غربية قوية الشأن، مُشبّعة في غالبها برؤية علمانية خطرة، وثقافة مركزية وإقصائية واستعمارية قبيحة، مما أوقع العديد من المسلمين في حيرة في طريقة التعامل، فظهر موقفان غير مناسبين، الأول: موقف الجمود ومنابذة هذه الحضارة مطلقا، والبقاء في التخلف المادي والضعف، والثاني: موقف الانغماس في هذه الحضارة بكل محتواها، بحجة أنها كتلة واحدة، إما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها؛ وإن تخيلنا عدوا للمسلمين، فلن يجد أحسن من حال هاتين الطائفتين تَمَيُّزا في إضعاف دين المسلمين ودنياهم.

وسأكتفي هنا بمرافعة قام بها أحد علماء المسلمين المعاصرين أمام هذين الموقفين، بيّنَ في مرافعته غلطهما عقلا وفطرة ودينا، وهو الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي [١٣٢٥-١٣٩٣هـ] وقد كانت ذروة مناقشته لهذه المسألة في رحلته المشهورة لبلدان أفريقية سنة [١٣٨٥هـ]، كما أن هذه المسألة قد عرضها الشيخ في تفسيره المشهور "أضواء البيان"، ونحن نحاول قراءتها قراءة تناسب موضوعنا.

ينطلق الشيخ من مجموعة أصول، أهمها في موضوعنا اثنان:

الأول: أن الدين قد جاء بما يحتاجه البشر.

الثاني: أن الإسلام حث المسلمين على الانتفاع من عناصر القوة حتى وإن كانت مع غير المسلمين.

فأما **الأول**، فإن الإسلام قد أتى بما يحتاج الناس إليه، منه ما يكون في الدين، وقد اكتمل بنيانه مع نبينا صلى الله عليه وسلم، ومنه ما يكون في الدنيا، فجاءت الأحكام الشرعية التي تفصل القول فيها، بما في ذلك ما يقع من التشارك فيها مع غير المسلمين ومع الحضارات الأخرى، وفق قواعد وأحكام وقيم وضعها الشرع الحكيم.

وأما **الثاني**، وهو موطن مقصد الدراسة، في الموقف من الحضارة الغربية بخاصة، فقد اعتنى الشيخ في هذا القسم بتأكيد أهمية تحقيق الانتفاع مما في الحضارة الغربية، وأنه مشروع للمسلمين، وبيان غلط الطرفين: الطرف الجامد في موقفه من الحضارة الغربية، والطرف التابع لها والآخذ لها بكليتها أو بما هو سيء فيها.

يقول الشيخ: (نريد هنا أن نسلط الأضواء على حقيقة الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية بفلسفة منطقية تترك ليلة المسألة نهارا)[1]، وهو الموقف الذي (ينبغي أن يفهم ويسلك لتكونوا على بصيرة من هذه الفِكَر المتناقضة التي ضاع الإسلام والمسلمون ضحيتها)، في طرفين: (طرف من الشيوخ الجامدين الذين يظنون أن

(١) الرحلة إلى إفريقيا، ص٧٥، وينظر تفسير أضواء البيان للآية (٧٨) من سورة مريم، ٤/٤٧٦.

كل تقدم في ميدان من ميادين الحياة أنه كفر ومضادةٌ للدين!!، وهذه جناية على الإسلام والمسلمين [...]، وطائفة أخرى ثقفها الأجنبي ثقافة مضادة للإسلام [...] تزعم وتعتقد أن كل تمسك بالدين أنه رجعية وانحراف عن مسايرة ركب التطور ...)[1]؛ وبعد تحليل المواقف المشهورة بيّنَ خطئهما وضررهما ليخرج منهما إلى ما أسماه الشيخ بـ(الموقف الطبيعي)، وهذا الموقف الطبيعي للمسلم يحتاج لتحليل آخر، وهو تحليل الذات الإنسانية، بأنها مكونة من عنصرين مختلفين غاية الاختلاف وهما: الجسد والروح، فلو كان من عنصر واحد (لكان يمكن أن يكتفي باتجاه واحد)، ولكنه ليس كذلك، (للجسد متطلبات لا تقوم بها متطلبات الروح، وللروح متطلبات لا تغني عنها متطلبات الجسد)، وقد نجحت الحضارة الغربية نجاحا عظيما في خدمة العنصر الجسدي من الإنسان (بخدمات هائلة لا يعبر عنها)، ولكنها فشلت فشلا ذريعا في خدمة العنصر الروحي من الإنسان[2]، وإذا كان المعنى الأول واضحا وضوح الشمس، فالتقدم الذي صنعته الحضارة الحديثة في الجانب المادي يفوق الوصف، بقي النقاش الواسع في المعنى الثاني، فما زال هناك مكابرة من العديد، وهناك غفلة تحيط بالعالم اليوم بسبب النجاح الدنيوي، وهي غفلة لا يسلم منها أحد، ولكن الكافر غفلته هي أعظمها شأنا، وبخاصة مع هذا النجاح الدنيوي والحضاري الذي تحقق في إطار علماني ومادي واسع، والشيخ لم يتوسع في بيان هذه الأزمة الروحية، بينما هناك مفكرون ومدارس غربية تناقش هذه الأزمة الوجودية للإنسان الحديث المنغمس في مكاسب التقدم الدنيوي، وهو تقدم لا يسمح له بالتقاط أنفاسه ليتأمل في مصيره ووجوده، وازداد مع ابتلاع الرأسمالية في وجهها الاستهلاكي الظافر لحياة الإنسان، وحتى تنجح في عملها فهي تعيد تشكيل الإنسان، تفكك الجوهر الإنساني الروحي الذي هو حقيقة الوجود الإنساني وتجعله مادة دون روح، أو تصوير الروح في إطار مادي، يمكن إشباع الروح كما يتم إشباع الجسد، ومع اعتراف بعض هذه الفلسفات بوجود روح ووجدان كان الدين هو الذي يمدها بالطاقة، فإنهم يرون أهمية استبعاد الدين كمصدر للروح، والبحث عن بديل للدين، كما هو في الفنون والترفيه والتسلية التي تشبع الروح من وجهة نظرهم العلمانية[3]، واليوم، لم نعد نجد الطائفة الجامدة، فجهود العلماء المصلحين قد كشفت الطريق الصحيح، وأنارت الوعي، وأرشدت العقول، ولكن بقي معنا مشكلة من غياب الوعي عند الطائفة الثانية، وهي المنغمسة في تقليد الغرب في كل محتويات حضارته دون تحليل رشيد لحقيقة هذه الحضارة، كما أن ذلك يتناغم مع موقف غربي يزداد في العقود الأخيرة يدعي تفوق الحضارة الغربية التام، وأنها كما تفوقت ماديا فهي متفوقة في الجوانب الأخرى، وأن الآخرين هم تبع لها، وهناك حالات غريبة تحضر في الخطاب الغربي من دعاوى اليمين المتعصب، وأصحاب النزعات القومية الجديدة، وظواهر شيفونية تؤجج هذه المعاني، وهذا غير مستغرب، فما من حضارة إلا وظهر فيها مثل هذه الأعراض المَرَضية، ولكن المستغرب والمزعج هو ما يقع من بعض المسلمين

(١) الرحلة إلى إفريقيا، ص٤٦.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٤٦، أيضا ص٨٣.

(٣) لضخامة عمل الحضارة المادية في تفكيك الإنسان وإعادة تشكيله والبحث عن بدائل، يمكن العودة في تحليل هذه الظاهرة لكتاب: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان لعبدالوهاب المسيري.

من مشاركة القوم في دعواهم، ويستندون لما يقدمه هذا الطرف الغربي من أدلة حول استثنائية الغرب والفكر الغربي، وأنه الوحيد الذي يستحق قيادة العالم وإنارة العقل والفكر، مما يتطلب من الباحثين تحليل مثل هذه الظواهر المرضية ومناقشة أصحابها.

وقبل الذهاب هناك، نحتاج طرح طريقة الشيخ في تنبيه المسلمين المتأثرين بهذه الدعوى، وهو يسلك في ذلك مسلك "السبر والتقسيم"، وهي طريقة قد جاء القرآن بالتنبيه عليها في عدة مواضع ذكرها الشيخ، وهو العالم بتفسير الكتاب العزيز، يقول الشيخ:

(والاستقراء الصحيح دل على أن الحضارة الغربية فيها نافع غاية النفع، وضار غاية الضرر، أما النافع منها فهو ما أنتجته في الميادين الحيوية في الماديات والتنظيمات، وما خدمت به الإنسان من حيث إنه جسم في جميع أنواع الحياة، والضار منها: هو الإفلاس الروحي والتمرد على نظام السماء الذي وضعه خالق الكون – جلا وعلا)[1]، ثم هو يذكر المواقف الأربعة الحاصرة، وهي:

١ – أخذها كلها، ضارها ونافعها.

٢ – تركها كلها، نافعها وضارها.

٣ – أخذ ضارها وترك نافعها.

٤ – أخذ نافعها وترك ضارها.

فالعقل السليم، والفطرة الصحيحة، تؤكد أن الأقسام الثلاثة الأولى باطلة، ويبقى موقف الأمة الناضج والواعي في طريقة التعامل مع الموقف الرابع، فمع سهولته في التقسيم ولكنه عسير في التطبيق، بل الثلاثة الأولى هي الأسهل على الأمم الضعيفة والتي لا تخسر شيئا، بخلاف المسلمين فهم أصحاب دور حضاري وديني يمنعهم من المواقف الثلاثة الأولى، ويجعل منهم أمة قادرة على الاستقلال والاختيار وفق مبادئ وقيم، وفي نفس الوقت هو موقف يقحمهم في التفاعل الحضاري مع الحضارات الأخرى، ليس فقط كزبائن ومستهلكين يتسوقون في أسواق الأمم، بل هم مع ذلك يحملون قيما طالما انتفع بها البشر منن خلال النماذج الإسلامية الحية.

والغرض من هذا المدخل هو أن مساحة التأثر والتأثير مساحة واسعة، وبحاجة للتحليل، فمنه ما يمثل مشكلة حضارية وضياع للهوية واستلاب فكري وثقافي، ومنه ما هو وضع طبيعي وإنساني جعله الله بين الخلق، للتعارف والتعاون على ما ينفع وتبادل المنافع والمصالح، كما أن تميز حضارة في جانب دنيوي لا يمنحها شهادة مطلقة، وقيمة استثنائية، فإن قيام نشاط إبداعي في الجانب المادي من حياة البشر هو موطن تنافس إنساني لا يمنح قيمة لأهله مالم يكون أصحابه مزودين بقيم عليا مع هذا التقدم، ومن قدر الله للبشرية أن ذلك محصور في الإسلام وأهله، ومن عجائب الأمور اليوم أن الغرب ذاته صار فيه من المسلمين من لهم دور في العلوم الدنيوية ونشاط اقتصادي وثقافي بارز، وفي نفس الوقت هم مستمسكون بهويتهم الدينية، ومتفاعلون في المجتمعات التي هم فيها.

(١) الرحلة إلى إفريقيا، ص٥٤، وانظر نفسه ص٨٢.

ولكن، هناك محاولة لطمس دور المسلمين التاريخي والمعاصر، ومع سعة الطرح المتعصب الظاهر والخفي، الذي يُشعَر به والذي يكون خفيا ولا يُشعَر به، وجب أن يقابله طرح يبين سعة إسهام المسلمين التاريخي والمعاصر، دفعا لمثالب المركزية الغربية وما تنتجه من مواقف عدائية ضد الإسلام والحضارة الإسلامية، كما أن ذلك أصبح مهما حتى للعديد من المسلمين الذي تأثروا بهذه الشبهة، فشارك البعض في نشرها، وتأثر العديد بها، حيث استسلم للثقافة الغربية، مقتنعا بأن دوره يقف عند انتظار ما تنتجه، واستهلاك ذلك، وكأن الإسلام ينافي التقدم الإنساني، يقول الشنقيطي رحمه الله: (وهذه الدعاية – مع الأسف– راجت في الأكثرية من شباب أبناء المسلمين، وجعلتهم يحاولون التخلص من الدين بكل الوسائل ليحصلوا على التقدم الذي تتطلبه الأوضاع الراهنة للحياة البشرية..)[1]. لهذا جعلنا من غايات هذا المبحث التذكير بالدور الحضاري الإسلامي، تنبيها للعقول الغافلة، ورفعا لحماس الشباب المسلم اليوم، ليعود بقوة في ممارسة دوره الحضاري، الذي يجمع بين الجسد والروح، وقبل ذلك نقف مع مرضين ثقافيين تمكنا من الحضارة الغربية المعاصرة، أسهما في بناء مواقفها السلبية من الإسلام وحضارته، وهما: المركزية الغربية والرؤية العلمانية.

المبحث الثاني: المركزية الغربية والرؤية العلمنة

هناك قضيتان بحاجة لعرض قبل الابتداء، وهما قضية (التمركز الغربي)، وقضية (العلمنة الفكرية) لتاريخ الفكر الغربي الحديث وأثر ذلك في الموقف من الحضارات الأخرى، وبخاصة الإسلامية.

الأول: دعوى المركزية الغربية:

مفهوم "المركزية الغربية" هو أيدلوجيا فكرية مقتضاها تفرد الغرب، والآخر هو مكون متدني رديء، وحظ الآخر هو أن يتقبل تبعيته للغرب المتفرد، فالغرب وفق هذه الدعوى هو انبثاق ذاتي مستقل، لم يتأثر بأحد وهو مالك حق التأثير وتحضير الغير[2]، ويتقاطع هذا المفهوم مع مفاهيم أخرى كالهوية والأنا والآخر والتحيز، وفي نطاق هذه الدراسة تبرز أيدلوجيا التمركز في دعوى تفرد نشوء الحضارة الغربية دون علاقة بحضارات أخرى، بل الحضارات الأخرى ما هي إلا نماذج بليدة أنتجتها عقول عاجزة، أو نسخ مشوهة تحاول تقليد الحضارة الغربية.

وحاصل رأي حاملي هذه الدعوى: "نحن فقط، والعالم لا شيء"، لا تأثر وإنما هو تأثير فقط، الغرب هو إبداع ذاتي خالص، نقي نموذجي خالي من أي شوائب مستقاة من حضارات أخرى، وهو الوحيد صانع التأثير، والبقية

(١) المرجع السابق، ص٧٢.

(٢) انظر في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة، د. الطيب بوعزة، ص١٢٣-١٩٣، وعرضه الأقوال التي تتحدث عن التميز الغربي في نشأة الفلسفة القديمة (١٢٤-١٢٨)؛ وانظر مقالة "المركزية الغربية"، عبدالله إبراهيم، ضمن موقع مؤمنون بلا حدود، ويعد كاتبها ممن انشغل بتحليل هذا المفهوم أكثر من ربع قرن؛ صورة الآخر الحضاري: نقد الاستعلاء في المركزية الغربية، عامر الوائلي، مجلة الاستغراب، عدد (١٠)، ص١٤٢؛ وانظر مفهوم "الآخر" معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ص٤١.

تبع؛ وهي ليست مقولة شاعر تقال في حماس أدبي يمكن تجاوزها، بل هي مقولة أيدلوجية وفكرية تزعم العلمية والمنهجية والموضوعية.

وهناك بعض الكتَّاب العرب منساقون مع هذا المزعم، يقولون: نحن لا شيء، ونحن على هامش التاريخ، والتاريخ الحقيقي هو تاريخ الغرب، فهو الذي أبدع العلوم والأفكار والمناهج، وكل شيء، ونحن لا شيء!

في المقابل هناك في الغرب نشاط معارض وإن كان صغيرا ولكنه جدي وعلمي ومستوفي الشروط المنهجية في تقديم الحقائق، يشارك فيه بعض المتخصصين من المسلمين والعرب داخل الجامعات الغربية، يحاول تصحيح هذا التصور المغلوط تجاه التطور الغربي الذي حدث منذ أربعمئة سنة تقريبا، والذي يقول عنه دعاة التمركز: إنه شأن غربي محض، ولا علاقة له بأحد! فأنشأ هذا الاتجاه الجديد خطابا تصحيحيا، وإعادة قراءة التاريخ بإنصاف وتجرُّد، يقوم هذا الفريق المميز بحركة مراجعة عسيرة في الجامعات الغربية، يصارعون جهودا قوية ترغب في طمس مصادر الفكر الغربي الحديث.

ولو أخذنا أخص موضوع اتصل به التحول الغربي تحت مسمى "الثورة العلمية"، معبرا عن أعظم إنجازات الحضارة الحديثة، وهذا الموضوع هو "نظرية الفلك"، فالأبحاث الحديثة تنسب لهذه النظرية حدوث الانقلاب العلمي الكبير في إطار الثقافة الغربية، من روادها: كوبيرنيكوس، كبلر، جاليليو وغيرهم، وعندما تقرأ تلك الأبحاث والكتابات تعرض لنا تلك النظرية والحركة الكبيرة المصاحبة لها وكأنها نشاط إبداعي ذاتي؛ خلف هذه النظرية مسائل وحسابات رياضية دقيقة ليست سهلة، تحسب حركات الأفلاك بمعادلات دقيقة، وكأنهم يقولون: هذه هي العقلية الغربية!، ولا يمكن أن يبدع هذه الصورة الفريدة إلا العقلُ الغربي؛ في المقابل قام فريق من الباحثين بإعادة النظر، ووضع هذه السؤال موضع بحث: هل هذه الحسابات الدقيقة التي وصل إليها كوبيرنيكوس وكبلر وجاليليو وغيرهم وليد هذه العقلية أم قد سُبقوا إليها؟ وكانت المفاجئات العلمية هو وجود من سبقهم لحسابات دقيقة بأكثر من مائتي سنة! وأصبح من الواضح أن الأصول النظرية الرياضية الحسابية كانت موجودةً لفلكيين ينتسبون إلى الحضارة الإسلامية، بل الأمر أبعد من ذلك، فباحث مثل "هف" وقد اعتمد على أحدث الأبحاث، يذهب أن هذا الجديد الذي أشعل نار الثورة العلمية في الغرب ليس جديدا في حضارة أخرى، بل يقول إنه من (المتفق عليه الآن بشكل عام أن التصور الكوبرنيكي الجديد للكون لم يقم على ملاحظات جديدة مذهلة أو أساليب رياضية لم تكن معروفة لدى العرب)، وأن المقارنة بين نماذج الفلكيين المسلمين ونماذج كوبرنيكوس قد حملت باحثا (لأن يسأل لا "عما إذا" كان كوبيرنكس قد تعلم نظرية مراغة، بل "متى وكيف")، وأن كوبرنيكوس ما هو إلا أحد أتباع تلك المدرسة الفلكية في الحضارة الإسلامية[1].

وفي هذا الإطار فمزاعم تفرد أمة بالعقلانية دون غيرها غير متفق مع الأبحاث الحضارية والتاريخ المقارن والأبحاث العلمية الحديثة، فالعقل والعقلانية مشترك إنساني وتكريم رباني قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ

(١) فجر العلم الحديث، النص الأول، ص٣٥٤، والثاني، ص٧٠-٧٢؛ وانظر النظريات العلمية..، حسن الاسمري، ص١٢٠-١٢١.

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء:٧٠]، ويظهر هذا التكريم والتفضيل في القيم والعقل والفطرة، وللعقل وجهتان: وجهة نحو الوحي بالفهم والعلم والإيمان بالتسليم، ووجهة نحو الكون وعالم الشهادة بالتفكير؛ ومشكلة الإنسان تأتي من الفصل بين الوجهتين، كما هو حال من توجّهَ لعالم الشهادة، فهو يُعطَى بقدر ما يتفكر فيها، ويحقق أعظم ما يمكنه، والله يقول: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) [الروم:٧]؛ بخلاف حال المسلم الذي يجمع بين الأمرين: علم الدنيا وعدم الغفلة عن الآخرة، ويُعطَى من البركة والعون الإلهي والفتح الرباني ما يحقق التوازن بين الأمرين، وهنا تظهر عقلانية مؤيدة بالتوفيق الرباني مختلفة عن تلك المجردة، التي تبدع حضارة ظاهرة عظيمة ولكنها منفصلة عن غايتها الأخروية، فالحضارة مُنتَج إنساني مشترك، وإنما التميز الحقيقي هو في ربطها بغاية الوجود التي لا نعلمها إلا من الوحي.

ولو صح قبول مركز إشعاع، فالديني لا مركز له إلا الإسلام؛ لأن الإسلام يُقدّم مقوماته وإجاباته التي تؤهله لذلك، وحمَلَة الإسلام هم قدوة العالم بشهادة ربانية {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: ١٤٣]، والوسط العدل، ولا تمنحهم هذه الشهادة الربانية معنى الاستكبار والغرور، بل تُحمّلهم أمانة عظيمة، ففرق بين مركزية تسفر عن التعصب واحتقار الآخر واستغلاله وانتقاصه، وأخرى ينشأ عنها الفرح بنعمة الله عليهم، واستشعار المسؤولية، وضخامة الأمانة أمام الغير والكون والعالم.

الثاني: العلمنة الفكرية لتاريخ الفكر

يتميز الفكر الغربي الحديث بهيمنة العلمنة عليه، وغلبة الرؤية اللادينية أو الدنيوية على رؤيته، بل وبتوسع الإلحاد والرؤية المادية على طائفة من رموزه، ويمتد أثر ذلك في نظرهم التاريخي للأفكار والحضارات، لدرجة أنهم – وهم يؤرخون لهذا الفكر – يُغفِلون جانب النبوات؛ فهم يتكلمون عن ما قبل الميلاد، فإذا أتوا إلى عيسى وموسى وإبراهيم، ومن قبلهم نوح وآدم عليهم السلام، أو النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، فلا تكاد تجد شيئًا يُذكر عنهم، وكأنهم ما كانوا في تاريخ البشرية في يوم ما! وهذا واضح للذي يقرأ في تاريخ الفكر والحضارات، وكأن هناك قصدًا لإزالة كل شيء في الماضي له علاقة بالنبوات، مع أن تاريخ البشرية إنما هو تاريخ النبوات والدين، فهو الذي أخرجها من العدم، وإن كنا نعلم انحراف الأمم عن دعوات أنبيائهم، وظهور أفكار إما معارضة للنبوات أو في خط خاص بها مما لا يتصل بالدين من علوم الدنيا؛ ولكن أن تُهمّشَ النبوات مع ذكرهم للعديد من الشخصيات: الساحر والشاعر والمؤرخ والزعيم والصانع وعشرات، ثم لا يُذكر الأنبياء، في منطقة النبوات أو مجاورة لها، فهذا مؤشر لوجود قصد الإخفاء، وإن تحدثوا عنها فترمى في علم الأساطير وما يسمونه بعلم الميثولوجيا، ولا نجد تفسيرا جوهريا لهذا الطمس سوى سطوة العلمانية.

وقد راهنت العلمانية الصلبة على إزالة الدين من العالم، وأن التاريخ يسير وفق خط حتمي نحو اللادينية، وأصبح قادة الفكر من العلماء والفلاسفة غالبهم يتشكلون من الملاحدة أو اللاأدريين، حتى قامت أحزاب ودول تابعة لها على الإلحاد الصرف، وهم في غمرة الحماس يتفجر الدين من جديد، بل ترافق عداء الدين مع اكتشافه

يقول أحدهم: (المدهش في هذه الحقبة هو تواجد الخروج من الدين مع العودة إلى اكتشافه)[1]، وتعود مؤسساته ورموزه، وظهر مسمى جديد لهذا الوضع وهو "ما بعد العلمانية"، وفلاسفة يتحدثون عن وهم استئصال الدين، وعن الدعوة لعودة نوع من الدين للمجال العام، وأن العقلانية المجردة غير كافية لشفاء أمراض الإنسان والمجتمع، فهناك مساحات لا يغطيها سوى الدين.

ومن ثم فيجب على القارئ لتاريخ الفكر المصنوع في الغرب أن يحذر هذا التجاهل منه للنبوات والأنبياء، بل وفي تحاملهم على الدين ورسله، كما يجب إعادة سرد التاريخ الإنساني والحضاري من زاوية حَمَلة الدين، فسندهم المعرفي منثور في الكتب المقدسة ومغروسٌ قبوله في الفطر السوية، وهذا التصحيح ليست فائدته محصورة في تصويب وضع تاريخي، بل هو سند لإنقاذ العصر من أزماته الوجودية، وإعادة تعريف الإنسان الحقيقي.

بعد هذه الوقفة الموجزة مع مشكلَتَي المركزية والعلمنة نعود لموضوع الجذور، وعرض موضوع علاقة التأثر والتأثير، لكي نضع الفكر الحديث في إطار أوسع من الإطار الضيق الذي يرغب اتجاه المركزية والعلمانية وضعه فيه.

المبحث الثالث: الحضارة الإسلامية وأثرها في الفكر الحديث

في ظلمة من الليل انبثق الإسلام بمبعث النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، وخلال جهاد ثلاث وعشرين سنة غمر الإسلام جزيرة العرب، ومن آخر ما نزل من القرآن سورة العصر، مخبرة بدخول الناس في دين الله أفواجا، وخلال قرن من وفاة نبي الأمة يصل الإسلام إلى شرق الأرض وغربها، تسقط فارس وتضعف الروم، وفي القرنين التاليين تقوم حضارة كبيرة للمسلمين، جزء منها كان داخل أوربا في الأندلس، منطوية على تأثر وتأثير، فهي من جهة قد ضمّت مناطق واسعة من حضارات أخرى، وتعرّف المسلمون عليها، وتفاعلوا معها، ومن جهة فقد كانت تُعيد تشكيل المنقول عن غيرها، وتبدع روحا جديدة، أضحت مع الزمن هي السقف الحضاري الأعلى على مستوى الحضارات لتكون قبلة العالم.

وهنا سؤال ونحن نتأمل في الوضع الفكري والحضاري اليوم، أين موقع الأمة الإسلامية والعلوم الإسلامية والحضارة الإسلامية؟ وكيف أثَّرت على الغرب والعالم؟ نفتتح ذلك بمقدمتين:

الأولى: سعة الموضوع وتشعب عناصره، فهذا بحث واسع جدًّا، وقد أريدَ له ولزمن طويل أن يُغفَل ويطوى حتى في الدراسات الغربية، وتخبرنا (هونكة) بأنه رغم ما يدين به الغرب والإنسانية للحضارة الإسلامية، فهناك تجاهل لذلك، ومن (يتصفح مئة كتاب تاريخي، لا يجد اسماً لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها)[2]، والأمر نفسه مع المتغربين العرب، الذين يريدون طمسَ دور الأمة الإسلامية في تاريخ البشرية، فمن الممكن أن يأتوا لك بكل

(١) الدين في الديمقراطية، مارسيل غوشيه، ص٣٧؛ وانظر العدد الثاني من مجلة الاستغراب، السنة الثانية، ١٤٣٧هـ، فهي تحوي ترجمات ودراسات متنوعة حول وضع الدين في مرحلة مابعد العلمانية.

(٢) شمس العرب..، ص١١.

ساقطة من الجذور المؤثرة في الفكر الغربي الحديث، ولا يتعرضون لذكر المسلمين، فهذه الأمة العظيمة ودورها في التغيير العالمي يتجاهلونه أو يَعرِضونه ضعيفا، حتى كأنه لا وجود لأمة الإسلام في التاريخ البشري!

الثانية: دور الحضارة الإسلامية في إخراج الناس من الظلمات إلى النور؛ فالإسلام له اهتمامٌ بإيقاظ العقول وتوجيهها وتحريكها لترى النور، بعد أن كانت في ظلمات؛ وله اهتمامٌ أيضًا بالقلوب التي عمَّها الشِّرك والضلال والانحراف، وكفَرَت بالله لينقلها إلى أفق الإيمان الحق؛ وله اهتمام كذلك بالسلوك والقيم معيدا لها للفطرة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة.

فما هو هذا الدور؟

التاريخ يخبرنا أنه في وقت نهوض الغرب لم يكن هناك أيُّ أمة معروفة في الأرض ذات شأن سوى أمة واحدة، وهي أمة الإسلام، لم يكن هناك شأن للصين أو الهند، حيث كانت ضعيفة وتائهة، واليونان والرومان ما كان عندهم شيء سوى تاريخ ضائع، فلم يكن آنذاك إلا الأمة الإسلامية.

وليس التاريخ العام فقط من يخبرنا دور المسلمين، بل حتى تاريخ العلوم ذاتها، في الطب والفلك والرياضيات والجغرافيا وغيرها، وهي تواريخ أظهرت ضخامة دور (العلم الإسلامي)، مع دراسات تكشف حركات بحثية تتجاهل عظمة هذا الدور، ومن بين النماذج المميزة أعمال الدكتور "رشدي راشد" في وضع تاريخ لهذه العلوم وبخاصة الرياضيات في مشروع (سلسلة تاريخ العلوم عند العرب)، مع فريق يعمل مركزه من باريس لإخراج جزء من ذلك النشاط، وربما لو قيل لبعض الشباب المثقف: كان المسلمون هم من يُدير (علم الرياضيات) عدّة قرون، لقالوا لك: هذا مستحيل! أبدًا، لا نعرفها إلا من أوروبا! وربما أن هؤلاء الشباب قد درسوا أشياء حول ذلك في مداخل أخذوها لبعض المقررات الدراسية، ثم نسوها!، وهذا أمرٌ عجيب، ودليلٌ على نجاح الغرب في تغريب روحنا الثقافية؛ حتى أنسَوْنا تاريخَ أمتنا وحضارتنا وثقافتنا وعلومنا ومنجزاتنا[1].

من كتب تاريخ العلوم كتاب: (تاريخ العلوم العام: إشراف رنيه تاتون) يتحدث بمعلومات مدهشة عن دور الحضارة الإسلامية، وفيه تفاصيل عن مرحلة النقل الحضاري الذي حدث بين أوروبا والعالم الإسلامي، عدة قرون ذروتها في القرن الثاني عشر الميلادي، وفي ثنايا ذلك وصْفٌ لأحوال المبتعثين من أوروبا للأندلس، وكيف هي أمنية للشباب الأوروبي المثقف، أن يصل أحدهم إلى حاضرة العالم الإسلامي في أوربا؛ ويحكي نشوء مكاتب الترجمة التي أقيمت لترجمة الحضارة الإسلامية إلى الغرب[2]؛ توافق ذلك مع حماس من بعض ملوك أوربا وبخاصة (فريدريك الثاني: ١٢٠٥م)، و(الفونس العاشر: ١٢٤٨م) بالعلم العربي، فقد جمعا في بلاطهما عددًا ممن يقوم بهذه المهمة؛ وبعدها تمكنت الحياة العلمية والفكرية من تأسيس المدارس والجامعات على غرار ما عند المسلمين، وكان ظهور الجامعات تحولا مهما للقارة الأوروبية والفكر الغربي، وقد كان أساتذتها فلسفيا منقسمون بين مدرستين: السنيوية

(١) طالع مقدمة رشدي وفريق الترجمة لموسوعة تاريخ العلوم العربية، ١/١٣-١٩.

(٢) من أشهر عصور الترجمة القرن الثالث/٩م في الحضارة الإسلامية، والقرن السادس/١٢م في أوربا.

والرشدية[١]، أما العلوم فقد كانت الكتب العربية في الطب والرياضيات والفلك وغيرها مما يدرس لقرون حتى جاءت الثورة العلمية الجديدة والفكر الحديث[٢].

ويتبع الملف الكبير السابق عن تاريخ العلم، كتاب آخر متخصص بالعلم العربي لـ"ألدوميلي"، قام صاحبه بعمل استقصائي مبهر تحت عنوان: (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي)، وقد اعتنى بدراسة العلوم الدنيوية في مباحث مثيرة للغاية.

تسمح لنا هذه المقدمات بالسير خطوة أعمق في الموضوع، في المحاججة نحو عمق التأثير للحضارة الإسلامية، مكتفين بتحليل مختصر يناسب هذه الدراسة، ولننصت في البداية لهذين الشاهدين:

("وإنه لمن المعلوم تماماً أنه ليس ثمة أحدٌ في رومة له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بواباً لتلك المكتبة. وأنّى لنا أن نعلّم الناس ونحن في حاجة لمن يعلّمنا. إن فاقد الشيء لا يعطيه"، هذا ما قاله متحسرا من يعرف الحقيقة تمام المعرفة، أعني به جربرت فون أورياك [...] الذي ارتقى كرسي البابوية في رومة عام ٩٩٩ ميلادية باسم البابا سلفستروس الثاني)[٣].

(والإنسان يقضي العجب من الهمة التي أقدم بها العرب على البحث، وإذا كانت هنالك أممٌ تساوت هي والعرب في ذلك فإنك لا تجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل، والعرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا همّهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها)، ونشر مراكز التعليم والمكتبات، وفي (أسبانية وحدها سبعون مكتبة عامة) منها مكتبة قرطبية داخلها (ستمائة ألف كتاب، منها أربعة وأربعون مجلدا من الفهارس)، بينما تحاول مكتبة فرنسة الملكية جمع الكتب فلم تستطع جمع (اكثر من تسعمائة مجلد، يكاد يكون ثلثها خاصا بعلم اللاهوت)[٤]، فالعرب (وحدهم كانوا أساتذة الأمم النصرانية عدة قرون)[٥].

(١) حول تأثير ابن سينا أو السنيوية اللاتينية ينظر "ابن سينا وتلاميذه اللاتين، زينب الخضيري"، وعن ابن رشد كتاب: "ابن رشد والرشدية، إرنست رينان".

(٢) تاريخ العلوم العام، وبخاصة الصفحات التالية: ١/٤٣٥-٥١٨ بعنوان العلم العربي، ١/٥٨٥-٥٩٨ عن دخول العلم الإسلامي إلى الغرب، ١/٥٩٠ عن عصر الترجمات الكبرى.

(٣) هونكه، ص٣٥٣-٣٥٤، ناقلة قوله وهو يتحدث عن إحدى مكتبات العالم الإسلامي، القرن الرابع الهجري تقريبا.

(٤) حضارة العرب، ص٤٥٠.

(٥) حضارة العرب، ص٤٥٣، وبعده يعقد الفصل العاشر بعنوان ملفت: تمدين العرب لأوربة: تأثيرهم في الشرق والغرب، ص٥٨٣، عارضا فيه امتداد تأثير المسلمين في الشرق والغرب.

لقد كانت هناك علاقة خاصة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الرومانية اليونانية[1]، وشرْحُ طبيعة التأثر والتأثير في هذه العلاقة مسألة شائكة؛ لأنه ليس كل تشابه هو تأثر وتأثير، ونحن نأخذ ذلك في الاعتبار أثناء عرض الفقرات التالية، وفي البدأ، ماذا أخذت الحضارة الإسلامية منهم؟

يمكن أن نعيد المنظومة الفلسفية اليونانية بحسب المعيار الإسلامي إلى **ثلاثة أقسام**: **الأول**، غلط أو باطل، وهو واضح إما بذاته أو وفق المنظور الإسلامي المعياري، كغالب المنظومة الميتافيزيقية؛ **الثاني**، صائب ومفيد، وقابل للتحسين المستمر وللتطور، مثل العلوم الطبيعية والرياضية، والأصل في هذا القسم أنه من المشترك الإنساني، الذي يتبادله الناس كما يتبادلون الأشياء بالبيع والشراء أو بالتعلم والتعليم والأخذ والعطاء؛ **الثالث**، موضوعات ثقافية أو فنية، **ثقافية**: أنشطة يبدعها العقل حول موضوعات مختلفة، مثل السياسة والإدارة وفنون التعامل، أو **فنية**: أنشطة أدبية وفنية إبداعية تخضع للعاطفة والتقييم الجمالي، والأصل فيها أنها من المسكوت عنه، وقد تخرج عن إطارها الثقافي والجمالي إلى بعض المحذورات الأخلاقية والدينية، ونقدنا لها يكون وفق درجات ذلك الخروج، ولكن لا يعني هذا الخروج في بعض الموضوعات أن نُعمّم الرفض على هذا القسم.

وعندما وقع الاحتكاك الإسلامي الأول لم يكن هناك عقلانية كافية أثناء هذا الاحتكاك من بعض المسلمين، فأخذوها بغالب محتواها، وكان أخطر ما فيها ذلك المحتوى الميتافيزيقي الذي خُلط عبر عملية تلفيقية بالأصول الإسلامية، ولكن هذا لا يعني أن ما أُخذ من العلوم الطبيعية أو الرياضية غلط، بل هو الطريق الطبيعي لكل الحضارات الإنسانية.

كما أن المسلمين وإن تعاملوا مع هذه الكتلة الفلسفية اليونانية بكاملها، إلا أن سقف الحضارة الإسلامية كان أعلى في أوج ازدهاره من الحضارات المجاورة، مما دفع كبار العلماء والمفكرين والفلاسفة بإحداث تغييرات جذرية في الكتلة الفلسفية المنقولة من الشرق أو الغرب، وإعادة تشكيل هذه الكتلة وتطوير جوانب عديدة فيها، وبخاصة العلوم الطبيعية والرياضية منها، والتي تم استيعابها لاحقا في الحضارة الغربية من جديد، وجاء الانطلاق من خلالها إلى مسارات شتى.

ترافق تطور العلوم عند العرب والمسلمين ابتداءً من القرن الثاني الهجري مع ظهور اهتمام بالفلسفات الشرقية واليونانية، وقد أسهم ذلك في تَشكُّل (حركة فلسفية) قادها عدد من المفكرين المسلمين. وقد أصاب هذه الحركة لوثة الميتافيزيقا اليونانية والشرقية في مجال العلاقة بالدين، **وينقسم** محتواها من حيث قيمته لثلاثة أقسام: **قسم** له علاقة بالدين، فقد جاؤوا فيه بمشكلات خطيرة تحت مسمى الإلهيات؛ **وقسم** له علاقة بالعلوم الدنيوية، وقد كان

(١) تأسست الحركة الفكرية الغربية في اليونان، ثم حملها الرومان، ثم ضعفت الرومان لتُسلّم إرثها للقسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وريثة الرومان في الشرق وهي دولة الروم التي عرفها المسلمون، أما داخل أوربا فقد تضاءلت تلك المعارف، وبقيت في بعض الأديرة ثم الجامعات الناشئة لاحقا؛ ثم وقع الانعطاف الجديد مع عصر النهضة من القرن الخامس عشر الميلادي إلى اليوم، انظر عبدالمنعم ماجد، ص٢٨٥.

مجال إبداعهم العظيم دون منازع، مثل الطب والرياضيات والفلك وغيرها، وقد استفاد الغرب وكل العالم منه كثيرا، بل كانت جامعاتهم لسنين طويلة إنما تُدرس كتب الفلاسفة المسلمين في هذه الأبواب؛ **وقسم** ثالث مما هو مجال الحكمة والعقل والإبداع، مثل الحديث عن اللغات والتاريخ والسياسة وتدبير الاقتصاد والنفس والمجتمع، ودراسات الأدب والفن، وغيرها، فبعض أجزائها ذات صلة بالدين وبعضها مما هو متروك لحكمة العقلاء وتنافس المبدعين؛ ومما سبق يظهر لنا أن الحكم على الفلاسفة المسلمين يختلف بحسب المجال الذي تحدثوا فيه(١).

في هذا الوقت المزدهر للمسلمين هناك جمود قد أصاب الحضارة الغربية، كان الشرق الإسلامي وغربه يسطع بالنور(٢)، بينما أوربا كاملة في القرن العاشر كما يقول (لوبون) قد عمها الجهل والتخلف، سوى (تلك الزاوية الصغيرة) في الأندلس، التي يمكن وجود العلم فيها، أو في الشرق؛ وأنه حتى القرن الخامس عشر لا يوجد سوى كتب العرب، ومع نشوء الجامعات، كانت مقرراتها هي كتب العرب(٣)، وأن هذه الزاوية الأندلسية داخل أوربا عمها التخلف بعد سقوطها في يد النصارى حتى نهايات القرن الثامن عشر(٤). وفي هذا الظرف كانت الدولة البيزنطية بعاصمتها القسطنطينية واسطة في النقل الحضاري، نقل التَرِكة اليونانية الرومانية للشرق، ونقل الثقافة الإسلامية للغرب.

ولكن، وإن كان تركيز الدراسات على ثلاثة أنواع في التفاعل والتأثر والتأثير، وهي: (العلوم والفلسفة والفن)، فإن الإسلام وحضارته يحتوي هذه وما هو أعظم منها، وهو الإسلام ذاته الذي صَنَعَ هذه الأمة وحضارتها، ومع وجود مجموعة باحثين تخفي دور الحضارة الإسلامية في وجهها المادي فالأمر أشد في وجهها الديني، تقول (هونكة) في سياق ذاك الإخفاء المتعمد للحضارة الإسلامية: بأن (الوقت قد حان للتحدث عن شعب قد أثّر بقوة على مجرى الأحداث العالمية، ويدين له الغرب، كما تدين له الإنسانية كافة)(٥)، وتعيد الفضل لها في استمرار الحضارات (ولو لم يبعث الشعب العربي الموهوب في حضارات البحر المتوسط روحا جديداً لاندثرت تلك الحضارات تماما) كما حدث لحضارات المايا والإنكا(٦)، وفي نهاية دراستها تقول: (فكل موجة علم أو معرفة قدمت

(١) من الكندي (١٨٥-٢٥٦هـ) مرورا بالفارابي وابن سينا أهم فيلسوفين، والذي عرض فلسفتهم الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) في كتابه: (مقاصد الفلاسفة) وتحدث فيه عن ثلاثة فنون: (المنطق، الإلهيات، الطبيعيات)، ثم جاء في كتابه الثاني: (تهافت الفلاسفة) لنقد مقولات الفلاسفة التي عرضها في المقاصد وبخاصة في الإلهيات، يراجع في ذلك أيضا: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها، صالح الغامدي.

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، د.عبدالمنعم ماجد، ص٢٨٦.

(٣) انظر حضارة العرب، ص٥٨٨-٥٨٦.

(٤) انظر حضارة العرب، ص٦٠٩.

(٥) شمس العرب..، ص١١.

(٦) المرجع السابق، ص٣٥٩.

لأوروبة في ذلك العصر كان مصدرها البلدان الإسلامية)[١]، وإذا كان الأمر كذلك، فسنعيد تحليل **المكونات الإسلامية** التي شُيّدت بها الحضارة الإسلامية, وعرفها الغرب, وتأثر بها بشكل مباشر أو بشكل خفي إلى الأقسام التالية:

١ – **الدين الإسلامي** بعقيدته وشريعته وقيمه, وبمصادره الكتاب والسنة, فقد جعل الله لهذا الدين من الخصائص ما يجعله مؤثراً في البشرية إلى قيام الساعة, وقد خرجت دراسات حديثة تُبيّن أثر الإسلام في البشرية, ومن ذلك أثره في الغرب، ويصف (ديورانت) خمسة قرون للإسلام (يتزعم العالم كله) ويعدد بعض صور تلك الزعامة (في القوة، والنظام، وبسطة الملك، وجميل الطباع والأخلاق، وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني الرحيم، والتسامح الديني، والآداب، والبحث العلمي، والعلوم، والطب، والفلسفة..)، وكيف دخل التأثير في تفاصيل الحياة (أما العالم الإسلامي فقد كان له في العالم المسيحي أثر بالغ مختلف الأنواع. لقد تلقت أوربا من بلاد الإسلام الطعام، والشراب...) في تعداد حتى في المفردات التي يتبادلون بها المعاني[٢]، وشهادة شخصية ذات اطلاع واسع على الحضارات كديورانت، مخرجا فيها أعظم الموسوعات الحديثة، هي شهادة ذات أهمية خاصة؛ ويتحدث (ألدوميلي) عن دور مترجمي الحضارة الإسلامية للغرب بأن نتاجهم (جعل أصول العلم العربي تنفذ إلى أوساط العالم المسيحي في الغرب)[٣]؛ وتلفت (هونكة) نظرنا لمعنى مهم في ذاتية الحضارة الإسلامية في إحياء العالم من خلال النموذج الأندلسي، فهي منطقة مُتخلّفة مقارنة ببقية العالم، ولا تعرف حضارات سابقة، ومن مجموعتين: أهل الأندلس القوط، والبربر من المغرب، مع تخلفهما، فدخلها المسلمون، وأقاموا فيها حضارة بلغت في زمنها مالم تبلغه غيرها، ولا تقارن بأماكن فيها حضارة سابقة[٤]، ثم تقول: (لقد حوّلوا الأندلس في مائتي عام حكموها من بلد جدب فقير مستعبد، إلى بلد عظيم مثقف مهذب، يقدس العلم والفن والأدب، قدّم لأوروبة سبل الحضارة وقادها في طريق النور)[٥].

٢ – **الفلسفة الإسلامية**، وأصلها نُقِلَ من اليونان ثم أُعيد تشكيلها داخل الحضارة الإسلامية، وهي ذات أقسام ثلاثة كما سبق، وهي التي كانت أحظى عند الغرب، وربما هي الأوضح أثراً في الفكر الغربي الوسيط وبدايات الحديث، بل كانت هناك مدارس فلسفية غربية تُنسب لبعض فلاسفة المسلمين، وحظي اثنان بمنزلة عالية وهما ابن سينا وابن رشد[٦].

---

(١) المرجع السابق، ص٥٤١.

(٢) قصة الحضارة، ٣٨٢/١٣.

(٣) العلم عند العرب..، ص٤٧٩.

(٤) شمس العرب..، ص٤٧٤.

(٥) المرجع السابق، ص٥٤١.

(٦) انظر قصة الحضارة، ٣٨٥/١٣؛ أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوروبية، عمر فروخ.

٣- **العلم** الرياضي والطبيعي, ومناهجه الجديدة, فهناك تطور مبهر في الرياضيات والطب والفلك, وما قام عليها من ابتكارات تُسابق الزمن, وهذا النوع كان له أثره العميق على الغرب, وهناك ورشة عمل كبيرة في الدراسات المعاصرة, عن بيان ضخامة الأثر الإسلامي على الغرب في هذا المجال، يعقد "هف" فصلا بعنوان: (فجر العلم الحديث)، يقول فيه: (ولعل أكثر ما يثير الدهشة هو أن الحضارة العربية الإسلامية كانت تملك أكثر العلوم تقدما في العالم قبل القرنين الثالث عشر والرابع عشر)(١)، ويذكر "ديورانت" أن أطباء العرب ظلوا يحملون لواء الطب (في العالم) خمسمائة عام كاملة(٢).

وهذه الأقسام الثلاثة، بحاجة لأبحاث ودراسات مستقلة، فمازالت الكتابة الإسلامية عنها ضعيفة، وما طُرِح فيغلب عليه الطرح الإنشائي، مع العلم بأنه قد خرجت وثائق ودراسات غربية حديثة، ستكون أرضية جيدة لإعادة الكتابة في هذه الموضوعات.

وأما عن الطرق، فقد كانت تأتي عبر مسار إنساني مشهور وهو التجارة، فالدراسات تبين أثر (طريق الحرير) في نقل حضارة الشرق إلى وسط العالم وغربه، واكتشاف الورق وأثره في ازدهار الكتابة وتطور الحضارات، فهنا أيضا، ما زالت الطرق التجارية وقوافل التجار هي العنصر البارز في التعارف والتلاقي بين الحضارات، فقد تشكلت خارطة جغرافية عالمية جديدة مع المسلمين، فالعالم ينتقل من الشرق للغرب، أو من الغرب للشرق، من خلال العالم الإسلامي، فيقع التبادل الحضاري؛ الطريق الثاني هو الترجمة، فقد نشط الغرب في ترجمة الحضارة الإسلامية، استمر ذلك عدة قرون، رأينا بعض تفاصيلها فيما سبق، يقول (ديورانت): (أما التيار الرئيسي الذي صب به تيار الثروة الفكرية الإسلامية في العالم الغربي فكان عن طريق ترجمة الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية)(٣)؛ وطريق ثالث وهو الحرب وذلك مع الحملات الصليبية، فقد مكث الصليبيون أكثر من قرنين داخل العالم الإسلامي، وكانوا على اتصال بمظاهر الحضارة الإسلامية، ويصف (لوبون) بعبارة قاسية حال قومه المتخلفين مع حضارة عظيمة تلك الواقعة فيقول: (ولم يكن الصراع العظيم الذي كان يتمخض عنه العالم، إذن، غير نزاع عظيم بين أقوام من الهمج، وحضارة تُعد من أرقى الحضارات التي عرفها التاريخ)(٤)؛ فهذه الطرق قد تناولتها الأبحاث بتفاصيل ليس هنا موضع ذكرها(٥).

---

(١) فجر العلم الحديث، ص٣٤٥.

(٢) انظر قصة الحضارة، ١٣/٣٨٥؛ وتوجد دراسات عربية عديدة منها ما هو يختص بعلم من العلوم، ومنها ما هو جامع بينها، ومنها ما يكون مركزا على الترجمة والتفاعل، ومن أهم الجهود المعاصرة: مشروع (رشدي راشد) تحت مسمى: (سلسلة تاريخ العلوم عند العرب).

(٣) قصة الحضارة، ١٧/١٧؛ حضارة العرب، ص٥٨٧.

(٤) حضارة العرب، ص٣٣٢.

(٥) ينظر مثلا: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ألدوميلي، ص٤٢٤، ص٤٣٧-٤٧٨، وجميع مراجع هذا المبحث قد عرّفت بهذه الطرق.

نختم بهذه الفقرة "اللوبونية" بعد عرضه الجميل لحضارة العرب فيقول: (لقد تم الكتاب، ولنُلخّصْه في بعض كلمات فنقول: إن الأمم التي فاقت العرب تمدناً قليلة إلى الغاية، وإننا لا نذكر أمة كالعرب، حققت من المبتكرات العظيمة في وقت قصير مثل ما حققوا، وإن العرب أقاموا ديناً من أقوى الأديان التي سادت العالم، أقاموا دينا لا يزال تأثيره أشد حيوية مما لأي دين آخر، وإنهم أنشأوا، من الناحية السياسية، دولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ، وإنهم مدنوا أوربة ثقافة وأخلاقاً، فالعروق التي سَمَتْ سموّ العرب وهبطت هبوطهم نادرة، ولم يظهر، كالعرب، عرقٌ يصلح أن يكون مثالاً بارزاً لتأثير العوامل التي تُهيمن على قيام الدول وعظمتها وانحطاطها)[1]، ونفس هذا المعنى يؤكده صاحب تاريخ العلم العام فيقول:

(نستطيع أن نستخلص فنقول إن العرب قدموا أكثر من نقل العلم: لقد أيقظوا المحبة له، ورعوه، ودربوا ذهنهم النقدي، وشرعوا في تمحيص المفاهيم اليونانية بالتجربة. وميلهم الحديث جداً إلى تطوير التقنيات والتطبيقات العلمية، قد ساعدهم كثيرا. ونحن مدينون لهم، في علم الفلك، وفي الميكانيكا، وفي الكيمياء، باختراع الآلات المفيدة. وفي مجال الطب، إليهم يعود الفضل في تطوير المستشفيات الكبرى الأولى [ببيمارستانات]، حيث كانت العناية بالمرضى تتزامن مع تنشئة الأطباء الجدد، مع الملاحظات العلمية الخالصة)[2].

وقد وقع في القرون الأخيرة انقلاب في معادلة التأثر والتأثير، فالحضارة الإسلامية التي قادت العالم عدة قرون، قد أصاب أهلها الضعف، ودخلت حضارتهم في نفق التخلف، وسقطت ضحية الاستعمار الغربي، وأخطر المشكلات التي قابلت المسلمين هي ظاهرة التغريب بمستوياته المختلفة، وأصبحنا نشاهد مدارس عربية وإسلامية على غرار المدارس الفلسفية الغربية الحديثة، ولكن مجتمعات المسلمين تبقى محصنة عن الانحدار الواسع بسبب الإسلام، فهو الدين الحق الذي يحمي أهله، بخلاف الحضارات الأخرى، فهي وإن كانت ذات أديان، فليست هي الدين الحق الذي يعصم أهله.

المبحث الرابع: مستقبل التأثر والتأثير، والحاجة للإسلام

التأثر والتأثير دينامية لا تتوقف، وهناك من يستعمله بتساهل في القدح أو المدح، والقدح أكثر، فكل من وقع في انحراف قد يقال بأنه تأثر بهذا أو ذاك، دون بيان علمي محقق، وعدم إيجاد ما يكفي من الإثبات والأدلة، بينما هذا البحث يتعامل مع معنى خاص من (التأثر والتأثير)، يبتعد عن الاستعمال في المشاكل الفكرية والثقافية المعهودة، والتي لا نقلل من حقيقة التأثر والتأثير فيها، ولكن المعنى هنا يكون في المساحة الطبيعية، وقد نبّهَ ابن خلدون في مقولته الشهيرة عن هذا الأمر في قوله: المغلوب مولع بتقليد الغالب[3]، بل ويمكن أن نقول بأن الفكرة

(١) حضارة العرب، ص٦٤٢، هكذا في الترجمة (فالعروق) والأنسب للسياق (فالأعراق).

(٢) تاريخ العلم العام، ٥١٦/١.

(٣) قال: (الفصل الثالث والعشرون: في أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده)، المقدمة ضمن تاريخه، ١/ ١٨٤.

الجيّدة تفرض نفسها، كما أن الفكرة السيئة تجد لها محلا، فإنه وإن غلب تأثير القوي في الضعيف، ونزوع الضعيف إلى تقليد القوي، وفق ابن خلدون، فإنه يمكن القول بأن الأفكار العظيمة حتى وإن جاءت من طائفة ضعيفة، فإنها تجد من يأخذ بها، وهي تفرض نفسها في مساحة التنافس الفكري والثقافي، وفي هذا المعنى فإن الإسلام وأصوله وقيمه ونظمه إذا وجد من يحمله ويبينه فإنه يجد قبولا من الناس، حتى ولو كان أهله في مرحلة ضعف في دنياهم.

كما أن المركزية الغربية التي كانت تشوه دور الإسلام وتضع حاجزا بين المسلمين وحضارتهم وبين الغرب العلماني تمر بمرحلة ضعف، ويمكن أن يقال بأن هناك ضياع للمركزية مع العولمة وما بعد الحداثة، والمتحدثون عن ما بعد الحداثة يتكلمون عن عالم هلامي تغيب فيه المركزيات، صحيح أن الغرب هو مالك القوة المادية بغالب أشكالها، ولكن الغرب ذاته مُشكَّل من ذوات ثقافية متنوعة، فإنك ستجد واحدة من أعظم مدن أوربا عمدتها مسلم، وتجد في عدد من الدول الغربية وزراء مسلمون، وجامعات فيها العديد من كبار العلماء والباحثين والمخترعين المسلمين، فضلا عن شركات كبيرة، ونجوم في الفن والرياضة من المسلمين؛ وليس هؤلاء فقط، فإلى جوارهم هناك النصراني والملحد والبوذي واليهودي واللاأدري، وهويات متنوعة، ويحرص الكثير منهم على أمرين في تلك المجتمعات العلمانية: العلم والمصلحة، ففي مجالات الطب والتقنية والصناعة وما شابه ذلك، العلم والبحث العلمي هو النشاط الظاهر، وقد تطور العلم التقني والطبيعي تطورا مدهشا؛ وأما بقية الأبواب فالمصلحة هي من يحكمها، والمصلحة هنا يُحدّدها الأقوى: الشركات الرأسمالية، واتباعها في البرلمانات بما يقومون به من وضع قوانين وتشريعات، يحددون فيها المصالح، وهي متغيرة ومتقلبة ولا تخضع لمعايير القيم، فتغيب القيم المعيارية أو تُغيّب.

إذن، فالتقدم الدنيوي مشترك، فيه المؤمن والملحد، المسلم وغير المسلم، وأرقام المسلمين في الغرب في تصاعد، سواء المهاجرون إلى هناك أو من أسلم، وما زالت الرأسمالية تقود وتدعم هذا التقدم، ونحن أهل الإسلام نعتقد بأن الفراغ الذي يشتكي منه العالم، وغياب المعنى في البيئات العلمانية، لا يملأه سوى الإسلام، ومع وجود صوت قوي داخل ما بعد الحداثة في أهمية السماح للدين بالحضور والمشاركة، ولكن تحت مزعم غير مقبول يقول بتساويها في القيمة، ولا سواء، وقد شهد القرن الأخير أعظم صور التقدم الدنيوي، وفي نفس الوقت يقع في ورطات وجودية، ترفع السؤال الوجودي دون جواب، فقد كانت الحروب داخل مواطن التقدم ذاته، التي مَسَحت أغلب أوربا، في الحرب الأوروبية الأولى والثانية والثورات المتعالقة بها؛ وظهور أوبئة جديدة كالإيدز وإيبولا وأشباههما يكشفان هشاشة الوضع الإنساني؛ وجائحة كورونا الأخير، وبخاصة في ذروته القاتلة، كيف تمتلأ المستشفيات بالمرضى، والخوف في كل شارع، وتضيق المقابر، تعيد هذه الأحداث موضوع العلاقة بين الغيب والشهادة للواجهة، وتنبثق من داخلها الحاجة للإيمان وسؤال الدين، وطريقه الوحيد هو الإسلام.

تواجه المسلمين اليوم مشكلة التعامل مع الحضارة الغربية، وقد كان هناك موقفان متضادان سبق الحديث عنهما: موقف الرافض والمتحفظ والمغلق، وموقف المستلب المقلد؛ ولكن هناك خط أخذ في التوسع، خط واعي، يجمع بين الحصانة والتفاعل، بناء الذات المسلمة، من خلال تأسيسها على علوم الوحي، محققا أعلى درجات حمل

الإسلام، عزة وافتخارا وامانة ومسؤولية؛ وفي المقابل هو يتفاعل مع الحضارات، مفرقا بين النافع منها وغير النافع، واضعا منهجية إيجابية في العلاقة التفاعيلة، لم تعد هذه الحضارة مهددة لأهل الوعي والإيمان، وسنجد مئات المسلمين داخل الغرب، يشاركون في تشكيل هذه الحضارة، ومع ذلك متمسكون بدينهم، ثابتون في معارك الحضارة، محافظون على هويتهم الإيمانية، معلنون لها، ونصوص العلماء والمفكرين ومشاريعهم في تحقيق التفاعل الواعي مشهورة، وتكشف شيئا من طبيعة الإسلام وحضارته، فهو دين العالم، وأهل دين كهذا الدين منفتحون على العالم.

واليوم، مع هذه العولمة الرهيبة، نجد فيها مساحة متاحة للمشاركة، ولو عدنا للقسمين الكبيرين: الدين والدنيا، فإن الدنيا وفق شاهدنا السابق قد حققت الحضارة الغربية فيه تقدما عظيما، لها مناهج معتبرة، وفلسفة معرفية مؤطرة، وهي حضارة مُشبّعة بقيم علمانية ورؤية مادية بحاجة لمشاركة جميع الحضارات في مناقشتها، ونقيم دعوانا بأن الإسلام الذي فيه تبيان كل شيء، قد وضع القيم الراعية للحضارة الدنيوية، واليوم تأنُّ [من الأنين] الحياة والطبيعة (البر والبحر) بالتعبير القرآني، من وطأة التقدم الدنيوي، والعالم يناقش معالم ظهور الفساد في البر والبحر عبر التلوث والاحتباس الحراري ومشاكل البيئة التي تدفع فاتورة التقدم المادي المفصول عن القيم الإيمانية، فليس بكاف براعتنا في هذه العلوم، والشواهد تثبت عدم التهيب منها، ووجود أسماء لامعة لمسلمين في أعرق الجامعات وأشهر مراكز الأبحاث، وإنما أيضا إسهامنا بإبراز قيم الاستخلاف والعمران الإسلامية، التي تضبط بوصلة التقدم؛ والنشاط الثاني، وهو الديني، أن يتقدم الإسلام إلى المجال العام العالمي، ففي مرحلة ما بعد الحداثة هناك تطورات للعلمانية، يُعبر عنها بما بعد العلمانية، وهي تفسح المجال لحضور أجزاء من الدين في المجال العام، وقد كانت الكنيسة مستبعدة أول القرن العشرين، ولكن من العقد السابع نشهد حضور البابا العالمي، ورحلاته وما يصاحبها من احتفاء اجتماعي وسياسي وجماهيري، وتغطية القنوات لخطابات البابا، وتصبح ضمن نشرات الأخبار، وهو تحول قوي في الحضارة الغربية العلمانية، وهنا يجب أن يحضر الإسلام، فالأصل في أي مساحة للدين أن يكون الإسلام هو الأول، وهنا يأتي واجب المسلمين، كيف يمكنهم تمثيل الإسلام في ذواتهم، وكيف يمكن تقديمه للعالم.

إدارة التأثر والتأثير فكريا وثقافيا ومواجهة المركزية والعلمانية: كون الرأسمالية ذات قوة داخل الحضارة الغربية، فهي غالبا تدعم الاستعمار المادي كما حصل في التاسع عشر والعقود الأولى من العشرين، ثم صناعة التبعية بعد التحرر من الاستعمار، وصناعة التبعية تتم بقفازات ناعمة، ولكن فلتات الزمن تكشف حقيقة الاستغلال القابعة خلف المعاني المزخرفة؛ فالعلاقة بين الحضارات هي علاقة تفاعل، التأثر والتأثير سمة جوهرية، ولكن كيف يتم إدارة هذه العلاقة، الأقوى والأنجح وصانع التأثير هو يمارس سلطته، والسلطة غالبا ما تتضمن معاني الاستغلال والإكراه، يقابل ذلك وجود الضحية غير الواعية، التي يسهل وقوعها في التبعية والتقليد الأعمى، فكيف يتم تجاوز هذه العلاقة المريضة إلى أخرى صحيحة؟ من ذلك وضع نظرية في الترجمة، كون النص المترجم يصل لطائفة أوسع، ونظرية أخرى في تعلم ما عند الحضارات الأخرى من العلوم النافعة، وهي لمجموعة تتعلم لغات الحضارات الأخرى، ويتخصصون في مجالات متنوعة بغير العربية، وعليهم تقوم مهمة نقل تلك التخصصات، ومواصلة الإبداع فيها،

هنا نحول المركزية إلى حضارة تشاركية، وإيقاف أمراض المركزية الغربية القاتلة لمعنى الحضارات الإنساني، وتبعيات ذلك على المستفيدين منها؛ ولكن ليس الأمر فقط في ذلك الاستغلال للغير والانتقاص له عبر المركزية، بل في الحضارة الغربية مرض **العلمانية**، وهو مرض ذاتي، وهنا يأتي دور حملة الفكر الإسلامي، في تقديم الجواب الإسلامي المنقذ.

يقول هوفمان: (إن عالم ما بعد الصناعة يوفر كل شيء ما عدا إجابات عن الأسئلة الكبرى التي تدور حول معنى ومغزى الحياة والوجود: من أين؟ إلى أين؟ لماذا؟

من هذا المنطلق صرح الأمير شارلز بتاريخ ١٠ من يوليو عام ١٩٩٦ في لندن في أثناء إلقائه كلمة في حفل عشاء: "لقد حاول العلم جاهداً أن يتحول إلى ديكتاتورية، وأن يحتكر رؤيتنا وفهمنا للدنيا، بفصل الدين عن العلم. إنني أومن بأن الإبقاء على القيم الحضارية مرتبط بالإبقاء على إحساس دفين بالمقدس في قلوبنا". واستطرد أمير ويلز قائلا: "إنني على اقتناع تام بأن عالماً يمثل فيه العلم والدين مكونات أساسية لرؤيتنا، لهو عالم أكثر تحضراً وحكمة وتوازنا. ولقد استطاع العالم الإسلامي أن يحافظ بشكل أفضل على رؤية العالم المتسقة والروحانية هذه، وهذا ما لم يتحقق لنا في الغرب")[1].

الخاتمة:

غالبا ما يكون الباحث في مثل هذه الموضوعات مستبطنا من البداية بعض المواقف، فالمثقف المسلم لا ينتابه شك في قيمة الحضارة الإسلامية، وتبعا لذلك، فقد تكون النتائج ضمن هذا الاستبطان، فماذا عساه أن يقدم في بحثه وهو مصطحب النتائج قبل البحث؟

ولكن حتى مع هذا، ودعوى الحياد التام غير ممكنة، والدراسات حول مفهوم الموضوعية تؤكد صعوبة تحققه، ومع ذلك، فالمثقف المسلم مطالب وفق قيمه الإسلامية بالاستسلام التام للحق، وقبوله من أي وجه جاء، ويمكن القول بأنني وإن بدأت مع بعض المسلمات إلا أن البحث قد أضاء لي نقاطا لم تكن حاضرة بهذا الوضوح بداية البحث، ومن هذه النتائج:

- التأثر والتأثير، نشاط إنساني وحضاري يعد شرطا في قيام الحضارات.
- كل أمة تملك نظاما من القيم يقوم بإدارة نشاط التأثر والتأثير.
- مع أن القاعدة الظاهرة هو تأثير الأقوى في الأضعف، ولكن هذا ظاهر في الجانب المادي، ولكن قد يقع العكس في نظام القيم، فقد يؤثر الأضعف ماديا في الأقوى إذا امتلك نظام قيم يجيب عن أسئلة الحضارات ويعالج مشاكلها.
- المركزية الغربية موقف مألوف في الحضارات القوية التي تُغيّب نظام القيم الذي يضبط أمراض المركزيات.
- الرؤية العلمانية متناغمة مع أيدلوجية المركزية الغربية في خصومتها مع الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي.
- استوعبت الحضارة الإسلامية منتجات الحضارات السابقة، وأعادت تشكيلها وفق القيم الإسلامية.
- موقع الحضارة الإسلامية المتوسط بين الشرق والغرب، مكنها من إرشاد العالم لأكثر من ثمانية قرون، وألهمت حركات علمية ودينية وفلسفية كثيرة.

(١) الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، ص١١٠-١١٥ من طبعة الشروق، ص١٤٤-١٤٥ من طبعة العبيكان.

- يصدق على مفهوم الحضارة أنها "أيام دول"، فهي تقبل الانتقال في وجهها المادي من أمة لأمة، ولكن الميزان الأهم هو نظام القيم الذي يحركها.
- الحضارة الحديثة في نسختها الغربية العلمانية قدمت ثورة عظيمة في الجوانب المادية، وما ينفع الإنسان في جانبه الجسدي، ولكنها تعاني من أزمات عميقة في قتلها للجانب الروحي من الإنسان.
- الإسلام، كونه الدين الخاتم، هو الوحيد الذي يملك نظاما مكتملا من القيم، يمكنه أن يجيب اسئلة العالم، ويعالج مشكلاته النابعة من تفوق مادي وتمزق روحي.
- المسلمون اليوم، يقومون بدور كبير، في استعادة الثقة بأنفسهم، وممارسة دورهم الحضاري والديني، فهم ربما الوحيدون الذين لم تخترق العلمانية نظامهم العام في الدين والوجود والدور المنوط بهم.

ومما يمكن أن أقترحه في التوصيات:

- دور ما بعد الحداثة في تفكيك المركزيات، إيجابيات ذلك وإشكالياته.
- البحث عن معاني دينية ضمن المركب الحضاري الغربي الحديث، وذلك أنه يغلب أن هناك الاستعانة بالدين بعد تغيير مسمياته في جوانب عديدة من الحضارة الحديثة.
- وضع طرح منهجي يفرق بين الطبيعي من (التأثر والتأثير) وبين ما يكون خطيرا ومرضا ثقافيا، وما الميزان الذي يفرق لنا بين الأمرين.

وفي ختام هذه الدراسة، فقد حاولت التأمل في مسائلها، وتقديم ما يناسب من التحليل والمعالجة، متمنيا أن أكون قد وفقت في المعالجة لأهدافها، وإضافة شيء مفيد للمثقف المسلم المعاصر، والله ولي والتوفيق.

المراجع:

ابن رشد والرشدية، إرنست رينان، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، طبعة: ١٩٥٧م.

ابن سينا وتلاميذه اللاتين، زينب الخضيري، الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ.

أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوروبية، عمر فروخ، مكتبة منيمنة، بيروت، ط٢، ١٣٧١هـ.

الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، د. مراد هوفمان، تعريب: عادل المعلم، يس إبراهيم، الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد، عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٦هـ.

تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، د. عبدالمنعم ماجد، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٦٦م.

تاريخ العلوم العام: العلم القديم والوسيط من البدايات حتى سنة: ١٤٥٠م، إشراف: رنيه تاتون، ترجمة: د. علي مقلد، المؤسسة الجامعية..، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

تدهور الحضارة الغربية، أسوالد اشبنغلر، ترجمة: أحمد الشيباني، مكتبة الحياة، لبنان.

حضارات الهند، د. غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

حضارة العرب، د. غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، الحجي القاهرية.

الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، د. حسين مؤنس، عالم المعرفة الكويتية، ط٢، ١٩٩٨م.

الدين في الديمقراطية، مارسيل غوشيه، ترجمة: د. شفيق محسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

الرحلة إلى إفريقيا، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق خالد السبت، عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٦هـ.

سقوط الحضارة كولن ويلسون، ترجمة: أنيس زكي، الآداب، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م.

شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في أوروبة، زيغريد هونكة، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ومراجعة مارون الخوري، دار الجيل والآفاق، بيروت، ط٨، ١٤١٣هـ.

صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: د. صلاح قنصوة، سطور، ط٢، ١٩٩٩م.

صورة الآخر الحضاري: نقد الاستعلاء في المركزية الغربية، عامر الوائلي، مجلة الاستغراب، عدد (١٠).

العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ألدو ميلي، ترجمة: د. عبدالحليم النجار، د. محمد يوسف موسى، القلم، ط١، ١٣٨١هـ.

فجر العلم الحديث: الإسلام. الصين. الغرب، توبي أ. هف، ترجمة د. جابر عصفور، سلسلة عالم العرفة الكويتية، عدد: ٢١٩، ١٩٩٧م.

الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبدالوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٤٣١هـ.

في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة: نقد التمركز الأوروبي، د. الطيب بوعزة، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وغيره، وتقديم: د. محي الدين صابر وغيره، الجيل، بيروت، طبعة: ١٤٠٨هـ.

مجلة الاستغراب، العدد الثاني، السنة الثانية، ١٤٣٧هـ، فيها ترجمات ودراسات متنوعة حول وضع الدين في مرحلة مابعد العلمانية.

المركزية الغربية، عبدالله إبراهيم، مقالة ضمن موقع مؤمنون بلا حدود.

مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، مجموعة مؤلفين، ترجمة: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

مقدمة ابن خلدون، عناية خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

موسوعة تاريخ العلوم العربية، إشراف: رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها، د. صالح الغامدي، المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

النظريات العلمية الحديثة: مسيرتها الفكرية، حسن الأسمري، ط١، ١٤٣٣هـ.